شرح رسالة الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب

المقتبسة من كتاب: الفتاوى السعدية

تأليف العالم المحقق:

عبد الرحمن النصر السعدي

الشارح الشيخ الدكتور:

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر

(الدرس الرابع)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛ فيقول الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في جوابه على سؤال ما هي الأسباب والأعمال التي يُضاعف بها الثواب؟

فكان في ضمن جوابه رحمه الله أن قال:

*ومن الأعمال المضاعفة : العمل الذي إذا قام به العبد، شاركه فيه غيره، فهذا أيضاً يضاعف بحسب من شاركه، ومن كان هو سبب قيام إخوانه المسلمين بذلك العمل؛ فهذا بلا ريب يزيد أضعافاً مضاعفة على عملٍ إذا عمله العبد لم يشاركه فيه أحد، بل هو من الأعمال القاصرة على عاملها، ولهذا فضّل الفقهاء الأعمال المتعدية للغير على الأعمال القاصرة.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد؛ لازلنا مع هذه التقعيدات العظيمة في هذا الباب المبارك من أبواب الفقه في دين الله عز وجل، وعبادته والتقرب إليه عز وجل، ومضى معنا من بيان الشيخ رحمه الله تعالى وإيضاحه لما يكون به تفضيل العمل وتضعيف أجره وثوابه عند الله عز وجل فذكر أسبابا عديدة، ثم قال هنا: "ومن الأعمال المضاعفة : العمل الذي إذا قام به العبد، شاركه فيه غيره " أي أن العبد عندما يقوم بعمل من الأعمال أو عبادة من العبادات فيتأثر الآخرين به ويستنون به ويقتدون به فيكون مؤثرا بعمله ويُسمي هذا أهل العلم " الدعوة بلسان الحال" أي يرى الناس حاله في هذا العمل ومبادرته إليه ومسارعته إلى القيام به، فيتأثرون ويشاركونه في

هذا العمل، فيكون تسبب في تنشيطهم ورغبتهم وحرصهم على هذا العمل، فيكون له أجر عملهم وهذا باب من أبواب التضعيف للثواب ولهذا قال : " العمل الذي إذا قام به العبد، شاركه فيه غيره"، شاركه فيه غيره أي يكون تسبب في هذا العمل بالقدوة؛كأن يُدعى مثلا إلى صدقة من الصدقات ويتوقف بعض الناس ثم يأتي أحدهم وينفق بمال طائل فيراه الناس قد أنفق هذا المال الكبير فيتأثرون ثم يتوالى الناس نفقة متأثرين بهذا الشخص الذي كان قدوة لهم، فيستنون بسنته ويسيرون على نهجه، فيكون له أجرهم جميعًا، وفي هذا جاء الحديث عندما قال عليه الصلاة والسلام: {من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا }، وكان سبب هذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا إلى الصدقة عليه الصلاة و السلام عندما جاء أقوام مجتابي النمار اشتدت بهم الحاجة والضرورة فدعا النبي عليه الصلاة والسلام فقام أحد الصحابة رضي الله عنهم وجاء بمال يثقل عليه حمله ووضعه بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، فتوالى الناس على إثر ذلك يتصدقون فقال عليه الصلاة والسلام :{من سن في الإسلام سنة حسنة}إلى آخر الحديث، فهذا قام بعمل، الذي هو الصدقة فشاركه غيره. قال: "فهذا أيضاً يضاعف بحسب من شاركه"، فهذا يضاعف بحسب من شاركه يضاعف له أجره عند الله عز وجل بحسب من شاركه أي من كان مؤثرا فيهم بالقدوة في المشاركة ولهذا يقول رحمه الله موضحا ما سبق: " ومن كان هو سبب قيام إخوانه المسلمين بذلك العمل؛ فهذا بلا ريب يزيد أضعافاً مضاعفة على عملٍ إذا عمله العبد لم

يشاركه فيه أحد" ولهذا في مسألة الصدقة، وهل الأفضل أن تكون سرا أو علانية ؟﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ البقرة: ٢٧١ فإذن هذا الباب، باب الصدقة إذا كان يترتب على الإنفاق العلني وكانت هذه نية الشخص بالإنفاق العلني أن يؤثر في الآخرين، أن يؤثر في الآخرين وأن يقتدي به الآخرين وأن ينفقوا. مثل لو قال شخص مثلا الأسرة الفلانية فقيرة جدا ومحتاجة ومن يقف على حاجة هذه الأسرة يجد فعلا أنها محتاجة جدا وأنا عندما رأيتهم أعطيتهم خمسة آلاف؛ وعندما قال هذه الكلمة لم يقصد إلا أن يؤثر في الآخرين وأن يشاركوه، ربما يشاركه العشرات أولًا دعايته وثانيا بنفقته، ربما يشاركه العشرات نفقة وإحسانًا إلى هذه الأسرة الفقيرة، فتكون هذه النفقة العلانية أراد بها هذه النية الصالحة فيفوز بأجر هؤلاء الذين شاركوه والأعمال معتبرة بنياتها{إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى} فإذا كانت هذه نيته أن يؤثر في الآخرين وأن يقبل الآخرون على الإنفاق والبذل، فله ما نوى، وإذا تأثر الناس بصنيعه هذا كان له مثل أجور من تبعه واهتدى بعمله دون أن ينقص من أجورهم شيء. قال : " فهذا بلا ريب يزيد أضعافاً مضاعفة على عملٍ إذا عمله العبد لم يشاركه فيه أحد، بل هو من الأعمال القاصرة على عاملها، ولهذا فضّل الفقهاء الأعمال المتعدية للغير على الأعمال القاصرة"، الأعمال القاصرة تنفع

العامل نفسه أما الأعمال المتعدية قد ينتفع بها مئات قد ينتفع بها ألوف ويكون له بعدد هؤلاء الذين انتفعوا بعمله هذا المتعدي فيُكتب له مثل أجورهم، نعم.

قال رحمه الله تعالى:

* ومن الأعمال المضاعفة : إذا كان العمل له وقع عظيم، ونفع كبير، كما إذا كان فيه إنجاء من مهلكة وإزالة ضرر المتضررين، وكشف الكرب عن المكروبين. فكم من عمل من هذا النوع يكون أكبر سبب لنجاة العبد من العقاب، وفوزه بجزيل الثواب، حتى البهائم إذا أزيل ما يضرها كان الأجر عظيماً؛ وقصة المرأة البغي التي سقت الكلب الذي كاد يموت من العطش، فغُفر لها بغيها، شاهدة بذلك.

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذا السبب الآخر من أسباب تضعيف الأجور " إذا كان العمل له وقع عظيم، ونفع كبير"، إذا كان العمل له وقع كبير ونفع عظيم فلا شك أن العمل إذا قوي وقعه وعظُم نفعه مع النية الصالحة والإخلاص لله سبحانه وتعالى فيه، يعظم ثوابه وأجره عند الله سبحانه وتعالى، وضرب على ذلك بعض الأمثلة قال :" كما إذا كان فيه إنجاء من مهلكة وإزالة ضرر المتضررين، وكشف الكرب عن المكروبين" فإذا كان العمل بهذا الحجم عمل كبير في إنقاذ أناس من هلاك، من كوارث، من مصائب عظيمة، يوفقه الله سبحانه وتعالى ويعينه بعمل ما، فتزول الشدة ويتفرج الكرب. فمثل هذه الأعمال التي يترتب عليها نفع عظيم ووقع كبير يتضعّف فيها الثواب حتى لو كان مع بهيمة من البهائم فكيف مع الآدميين؟!حتى لو كان مع بهيمة من البهائم إذا عمل الإنسان

وبذل جهدًا وسعى وعمل لإنقاذ بهيمة، أو مساعدتها، أو سقيها لكونها عطشت وشارفت على الهلاك؛ مثل هذه الأعمال العظيمة إذا قام بها العبد مخلصا لله سبحانه وتعالى، ترتب عليها الجزاء العظيم والثواب المضعّف، لكن لابد في هذا كله من الإخلاص.

ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال {**مر رجل بغصن شجرة ذي شوك في طريق المسلمين، قال : والله لا أدع هذا في طريق المسلمين فيؤذيهم فشكر الله عمله فأدخله الجنة**} غصن شوك، هذا الرجل قام في قلبه من الإيمان والمحبة للمسلمين والنصح لهم والإخلاص لله والتقرب إليه سبحانه وتعالى، قام في قلبه معاني عظيمة ترتب عليها هذا الثواب والأجر، وإلا قد يمر الشخص بغضن شجرة ذي شوك ويزيله على الطريق، وهو يقول في ذهنه: "سأرجع ليلا أخشى أن أتعثر فيه"، صورة العمل واحدة، إزالة وإزالة، يقول: "أخشى أن أرجع ليلا وأتعثر فيه"، لم يفكر بالمسلمين إطلاقا و لم يقم في قلبه مثلا رحمه وشفقة ونصح إلى آخر ذلك، لم يقم شيء من ذلك، صورة العمل واحدة إزالة هذا الشوك عن الطريق، لكن يتفاوت العمل و يتضعّف الأجر تضعّفًا عظيمًا وكبيرًا بحسب ما قام في القلب من الصدق والإيمان والنصح لعباد الله، ولذلك ذاك الرجل الذي شكر الله عمله فأدخله الله الجنة، قام في قلبه من النصح والإخلاص والصدق مع الله عز وجل والنصح لعباده ما ترتب عليه هذا الثواب، ولهذا يجب أن يُعْلَمْ أن كل شخص يُزيل غصن شجرة ذا شوك في الطريق يفوز بهذا الأجر، يفوز بهذا الأجر وليس كل شخص يسقي كلبًا اشتد به العطش أيضًا يفوز بالأجر الآتي

ذكره، بل هذه الأمور كلها إلى ماذا؟ راجعة إلى القلب وما فيه من إخلاص، وما فيه من الصدق، وما فيه من طلب الثواب من الله سبحانه وتعالى، و ما فيه من الرحمة للآدميين والبهائم؛ معاني تقوم في القلب عظيمة جدًا فيترتب عليها هذا الثواب المضعّف، ولهذا نقل ابن مفلح في كتابه الآداب الشرعية عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **{أن الحسنة تعظم ويكثر ثوابها بزيادة الإيمان والإخلاص حتى تُقابل جميع الذنوب}**، بزيادة الإيمان والإخلاص حتى تُقابل جميع الذنوب، وذكر حديث البطاقة وحديث البغي التي سقت الكلب فشكر الله لها ذلك فغفر الله لها، وحديث الذي نحى غصن شوك عن الطريق فشكر الله له ذلك فغفر له. إذن ليس كل من يقول لا إله إلا الله يفوز بثواب هذا الثواب العظيم الذي حصله صاحب البطاقة الذي ذكر في الحديث، وليس كل من ينحي غصن شوك عن الطريق يفوز بهذا الأجر الذي ذكر في الحديث، وليس أيضا كل من سقى كلبا يفوز بهذا الأجر، وإنما الأمر عائد في عظم الثواب وتضعيف الأجر، لما قام في القلوب من الصدق مع الله سبحانه وتعالى والإخلاص له والنصح لعباده.

قال: " فكم من عمل من هذا النوع يكون أكبر سبب لنجاة العبد من العقاب، وفوزه بجزيل الثواب، حتى البهائم إذا أزيل ما يضرها كان الأجر عظيماً؛ وقصة المرأة البغي التي سقت الكلب الذي كاد يموت من العطش، فغُفر لها بغيها، شاهدة بذلك". فغُفر لها بغيها شاهدة بذلك، امرأة كانت تمارس البغاء ولا تنفك عنه، ماضية على هذا العمل القبيح والعمل الشنيع، فمرت ببئر وكانت عطشى فنزلت وشربت، ثم لما خرجت وجدت

كلبًا يكاد يأكل الثرى من شدة العطش، فرحمته قام في قلبها رحمة له، ونزلت ولا يراها إلا الله سبحانه رب العالمين نزلت وملأت مُوقها؛ خفها ماءً و أمسكته بفمها وخرجت وسقت الكلب. هذه المرأة التي فازت بهذا الأجر، توبة الله سبحانه وتعالى عليها،كانت ناشئة عن إخلاص قام في قلبها وصدق منها مع الله، ورحمة عظيمة بهذ البهيمة، معاني عظيمة اجتمعت في قلب هذه المرأة فترتب على عملها هذا الثواب العظيم. ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين، يقول:{ **فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيْهما كما بين السماء والأرض**}، ثم قال:{ **وقريب من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش يأكل الثرى فقام بقلبها ذلك الوقت** -تنبه لهذا الكلام -**فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة وعدم المعين وعدم من ترائيه** -لا يوجد أناس تعمل هذا العمل لمراءاتهم حتى يثنوا عليها ويمدحوها- **وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها** -أي خاطرت- **في نزول البئر وملء الماء في خفها ولم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفمها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر ثم تواضعها لهذا المخلوق، الذي جرت عادة الناس بضربه فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاءا ولا شكورا، فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد** - الذي قام في قلب هذه المرأة - **فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها**

من البغاء فغفر لها فهكذا الأعمال والعُمال عند الله }، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتبه منهاج السنة {**فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغُفر لها وإلا فليس كل بغي سقت كلبا يُغفر لها** - وإلا فليس كل بغي سقت كلبا يُغفر لها- **وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق، فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قام بقلبه فغُفر له بذلك، فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيْهما كما بين السماء والأرض**}، قال الله تعالى﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ الحج: ٣٧ فالناس يشتركون في الهدايا والضحايا والله لا يناله الدم المهراق ولا اللحم المأكول والتصدق به،لكن يناله تقوى القلوب. و في الأثر:{ **أن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب**}.

هذا الذي نبه عليه شيخ الإسلام وكذلكم تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، فيه بيان أهمية الإخلاص وهذا أمر بدأ به ابن سعدي رحمه الله تعالى في هذه الفتوى التي بين أيدينا، أهمية الإخلاص والصدق مع الله والنصح لعباد الله، إلى غير ذلكم من المعاني القلبية التي يترتب عليها تضعيف الأجر وعظم الثواب عند الله سبحانه وتعالى. ثم فيما يتعلق بهذه المرأة البغي، ما معنى فغفر لها؟، ما معنى فغفر لها؟ هذه امرأة دأبت على ممارسة البغاء وممارسة هذا الفعل القبيح، والبغاء وله نظائر إذا تعلق القلب به خلاص صاحبه منه متعسر

إلا أن يشاء الله رب العالمين، وأن يلطف به أرحم الراحمين سبحانه وتعالى، ولهذا يكون صاحب هذا العمل وصاحب تلك الممارسات يدرك تماما أنها قبيحة وأنها مضرة وأنها يترتب عليها الآثام والأوزار وأنها وأنها وأنها، ثم تجده يقول:"لا أستطيع الخلاص منها"، حتى بعض الناس والعياذ بالله يُبتلى بما يسمى بالعادة السرية، بممارستها ويبدأ في بداية حياته معها بدايات ثم تتأصل في نفسه ويرى أضرارها عليه الصحية والبدنية والنفسية وغير ذلك، وتجده يود أن يتخلص منها وأن يتركها، وتجده يتوب ويستغفر ثم يعود ويعود ويعود، ويجد أنه لا يتمكن من الخلاص، أقول ذلك لننتبه لأمر، ألا وهو:أن الغفران الذي حصل لهذه المرأة،هو أن الله عز وجل أكرمها بأن أزال من قلبها تماما هذا الأمر، أزال من قلبها هذا الأمر تماما، فأصبحت لا ترغبه كما كانت ولا تميل إليه كما كانت ولا تبحث عنه كما كانت، نزع من قلبها، أصبح أمرا بغيضا كريها إلى نفسها، تابت منه وليس في قلبها تعلق، وهذا أمر حقيقة عظيم جدا وينبغي أن يُتنبه له، ولا أخفيكم أن هذا المعنى في فهم هذا الحديث استفدته قريبا من قصة حصلت لأحد الأشخاص، حدثني بها أحد الأشخاص في إحدى الدول العربية حدثني به جاره، يقول :"كان جارنا وهو شاب لم يبلغ الثلاثين، مدمن خمر ولا نراه في المسجد أبدا ولا يفارق الخمر"، شاب أدمن الخمر ويشربها كل يوم ولا يفارقها، يقول :"فرأيته أقبل على المسجد، بل رأيته إذا صلى الفجر لا يقوم حتى تشرق الشمس، تعجبت لأمره، انتظرت حتى لم يبق في المسجد أحد" يحدثني بهذه القصة جاره الذي أثق به، يقول :"فجلست إلى جنبه وحمدت الله عز وجل على

هدايته وعافيته وما أعلمه من حاله،فقلت:ما قصتك يا فلان؟" يقول:"فأخذ أولًا يحدثني عن حاله مع الخمر، وأنه ما كان يتصور أنه يُفارقها، يقول :ليلة من الليالي سهرت مع أصحابي حتى الفجر كما هي عادتي، يقول : ثم أرجع بعد السهر إلى البيت وأشرب الخمر وأنام إلى المغرب، هذه عادتي ثم أقوم إلى السهر، ثم في آخر الليل شرب الخمر ثم النوم وهكذا حياته، يقول : فكنت جائعا ولا أستطيع أن أشربها وأنا جائع ولم يكن معي إلا مال يسير جدا يكفي أن أشتري به خبزا وشيئا أضعه فيه، حتى أملأ بطني لأتمكن من شرب الخمر، يقول: لا أستطيع أن أشربها وأنا جائع، يقول:فخرجت من البيت وقت الفجر لهذا الغرض، لأشتري خبزا وليس معي إلا مال يكفيني لشراء الخبز وشيء أضعه فيه حتى آكله يقول: وكان الوقت في أشد ما يكون الشتاء، قريبا من هذا المكان الذي يبيع الطعام رأيت جروا -كلب صغير – يقول: يرجف رجفا شديدا من البرد واشتد به الجوع، فقام في قلبي رحمه عظيمة لهذا لجرو، رحمته، فعدلت عن رأيي وضحيت برغبتي في الطعام وفي شرب الخمر الذي لا أفارقه، يقول: فضحيت بذلك وذهبت إلى المكان واشتريت حليبا، وأخذت هذا الجرو وأدخلته في فَرْوَتي وضممته إلى صدري رحمة به، يقول قام في قلبي رحمة عجيبة لذلك الجرو، وأدخلته في فروتي وضممته إلى جسمي، قلت: حتى يدفأ، يقول: فلما دفئ وأخذته إلى البيت، وأتيت بوعاء وصببت له الحليب وأخذ يشرب وأنا في قلبي الرحمة له،يقول: لما انتهيت وشرب أحسست براحة عظيمة جدا ونمت، يقول :قمت من النوم وأنا لا أطيق الخمر إطلاقا ولا أفكر فيها، نُزعت من قلبي."

فسبحان الله هذا هو المراد، "فغُفر لها" يعني نزع هذا الأمر الذي القلب تعلق به. الشخص الذي مارس والعياذ بالله الزنا واعتاد عليه وألفته نفسه يعسر عليه، إلا أن يلطف به رب العالمين، يعسر عليه أن يتخلى عنه وخاصة من يعيش في أماكن الفتن أو الذي يمارس أمورا أخرى من شرب خمر أو غيرها، فيقول هذا الشاب :"قمت من النوم وأنا لا أطيق الخمر ولا أفكر فيها أصلا، نُزعت من قلبي"، مع أن الذين يتعاطون هذه الأشياء بعضهم إذا أراد أن يتوب منها يتدرج في التخفيف منها إلى آخره، يقول:" قمت وأنا لا أطيقها أصلا ولا أفكر فيها"، فغفر الله له، هكذا نحسب ونظن برحمته لهذا الجرو وإحسانه إليه، و قيامه بهذا العمل رحمة وإحسانا وتقريبا إلى الله سبحانه وتعالى، فمثل هذه الأعمال العظيمة الجليلة الكبيرة لا يستهين بها الإنسان، قد يقوم بعمل من مثل هذه الأعمال لا يلقي بالًا له عندما يقوم به فتغفر به ذنوبه كلها، ترتفع به درجاته عند الله سبحانه وتعالى، بل أحيانا يقول كلمة واحدة من رضوان الله سبحانه وتعالى لا يُلقي لها بالًا، يرفعه الله سبحانه وتعالى بها درجات،كما ثبت بذلكم الحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال:" وقصة المرأة البغي التي سقت الكلب الذي كاد يموت من العطش، فغُفر لها بغيها، شاهدة بذلك." هذا الذي ذكره رحمه الله، وهو مقيد كما تقدم بقيد الإخلاص وقصد التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل هو من هذا الباب، أعمال قد تكون في مرأى الناس يسيرة لكنها عند الله جل وعلا عظيمة وثوابها جزيل. بمقابل ذلك –هذا إحسان للبهيمة–

بمقابل ذلك الإساءة للبهيمة، قد يسيء الإنسان إلى بهيمة ولا يُلقي بالًا لتلك الإساءة، فيهوي بذلك في النار والنبي عليه الصلاة و السلام لما صلى بالناس صلاة الكسوف، رأى النار وحدثهم عن بعض الأشياء التي رآها في النار، ومما رآه عليه الصلاة والسلام وذكره للصحب الكرام رضي الله عنهم، قال :{رأيت امرأة من بني إسرائيل دخلت النار في هرة}، قال :{رأيت امرأة من بني إسرائيل دخلت النار في هرة}، ولما صلى بالناس الكسوف ورأى النار رأى المرأة في النار صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا قال رأيت امرأة من بني إسرائيل في النار في هرة، حبستها لا هي أطعمتها ولاهي تركتها تأكد من خشاش الأرض فعُذِبَتْ في هرة، فعُذِبَتْ في هرة، فقد يدخل الإنسان النار ويُعذب في بهيمة من هذه البهائم، وقد ينجو من النار وتغفر له ذنوبه في بهيمة من البهائم، في بهيمة من البهائم، فهذا باب عظيم فيما يتعلق بتضعيف الأعمال وأيضا في مقابله عِظم العقوبة ودخول النار عندما يقوم الإنسان بنقيض هذا العمل .نعم

قال رحمه الله تعالى:

*ومن أسباب المضاعفة : أن يكون العبد حسن الإسلام، حسن الطريقة، تاركاً للذنوب، غير مُصِرّ على شيء منها، فإن أعمال هذا مضاعفة كما ورد بذلك الحديث الصحيح (إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف).

ثم قال رحمه الله تعالى: "ومن أسباب المضاعفة"، ومن أسباب المضاعفة؛ قبل أن ندخل في هذا السبب، تذكرت أيضا أمرًا آخر لعله في ذكره نفع وفائدة من قصة من القصص

التي هي في الواقع، حدثني بها صاحبها مباشرة، أحد كبار السن من الصالحين أحسبه الله والله حسيبه، يقول لي: كنت على ناقتي -الكلام هذا قديم في شبابه-راجعا إلى بلدي وكان معي قربة ماء ليس فيه إلا ماء قليل جدا، لا يكفيني حتى أنا لأصل إلى مكاني، في شدة الصيف، يقول:فجلست في وقت القائلة الظهيرة، تحت ظل شجرة أستظل، يقول : بينما أنا جالس تحت ظل الشجرة جاءني كلب يلهث يكاد يأكل الثرى من شدة العطش، يقول: فرحمته ولم يكن معي وعاء لأصب له فيه الماء، يقول فحفرت حفرة صغيرة في الأرض وأنزلت فيها ثوبي، أنزلت ثوبي في الحفرة، حتى أصبح ثوبي مع الحفرة مثل الوعاء، يقول: وثيابنا قديما كانت نوعا ما تحفظ الماء قيلا، يقول: فأحضرت القربة وأخذت أصب الماء في ثوبي؛ في هذا الذي جعله مثل الوعاء في الحفرة، يقول :والكلب يلعق الماء حتى نفد جميع الماء الذي معي، يقول :فعلت ذلك، يقول: قام في قلبي رحمة به، يقول : والله ما كنت أرى في السماء قزعة؛ قليلا من السحاب، ما كنت أرى يقول : ما هي إلا لحظات وتقبل سحابة، يقول: تقبل سحابة وتغطي المكان الذي أنا فيه كاملا، يقول : وتصب حتى روت الأرض وملأت قربتي وشربت الدواب والطير وملأت قربتي ومضيت، هذه يحدثني بها صاحب القصة مباشرة، وهو رجل أحسبه والله حسيبه من الصالحين، فمثل هذه الأعمال لا يستهين بها العبد، لا يستهين بها العبد رحمة بهيمة الأنعام تقربا إلى الله وطلبا لثوابه سبحانه وتعالى، أيضا رحمة عباد الله والرفق بهم والحرص على الإحسان إليهم ودفع ما يؤذيهم، هذا كله من الأعمال الجليلة العظيمة التي يتضاعف فيها الثواب، وفيها

الثواب المعجل المؤجل، هذا الرجل أكرمه الله في ساعته، أكرمه الله في ساعته وأيضا البهائم التي حوله كلها سقيت بهذا السبب الذي يسره الله سبحانه وتعالى له، فمثل هذه الأعمال لا يستهين بها العبد، لا يستهين بها العبد وأيضا مُقابلها لا يستهين العبد بالإساءة والإضرار بالبهيمة أو بعباد الله بالظلم بالعدوان، مثل هذه الأمور أيضا بالمقابل يترتب عليها من الإثم والعقوبة والضرر على فاعلها في دنياه وأخراه.

ثم قال رحمه الله تعالى : "و من أسباب المضاعفة : أن يكون العبد حسن الإسلام، حسن الطريقة، تاركاً للذنوب، غير مُصِرّ على شيء منها " هذه المعاني إذا أكرم الله سبحانه وتعالى عبده بقيامها فيه، كان حسن الإسلام، كان حسن الإسلام أي قام فيه إحسان في إسلامه وديانته وتقربه إلى الله سبحانه وتعالى، محافظا عل الفرائض، متجنبا المحرمات، ولا يلزم أن يكون محافظا على النوافل و الرغائب، "حسن الإسلام" رجل معتني بالفرائض؛ فرائض الإسلام، واجبات الدين، متجنبا للمحرمات و الخسائس والرذائل، مُبتعدا عنها، فإذا كان حسن الإسلام، "حسن الطريقة" أي مؤتسيا في عمله وعبادته وطاعته بالرسول الكريم عليه الصلاة و السلام، فلا طريق إلا طريقه عليه الصلاة والسلام، حسن الطريقة، "تاركاً للذنوب" أي مبتعدا عن المعاصي والآثام، متجنبا لها، "غير مُصِرّ على شيء منها"، يعني إذا انفلت منه شيء أو بدر منه شيء سارع إلى التوبة النصوح والإقبال على الله سبحانه وتعالى والإنابة إليه. قال:" فإن أعمال هذا مضاعفة كما ورد بذلك الحديث الصحيح" قال: (إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى

سبعمائة ضعف).". تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، و لم يتسن لي مراجعة هذا الحديث، فلعل يكون في لقاء الغد بإذن الله تبارك وتعالى. لعلنا نكتفي بهذا القدر من هذه الأسباب التي ذكرها رحمه الله تعالى، ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن ينفعنا جميعا بما علمنا وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا وأن يُصلح لنا شأننا كله وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

مما يضاف هنا نعم، مما يضاف هنا في سباب التضعيف النية الصالحة حتى وإن لم يتيسر للعامل العمل، من أسباب التضعيف النية الصالحة وإن لم يتيسر للعبد العمل وهذا باب عظيم من أبواب التضعيف وهو من ألطاف الله سبحانه وتعالى ومننه العظيمة على عباده وتأملوا رعاكم الله في هذا ما رواه الترمذي وأحمد عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : {إنما الدنيا لأربعة نفر:عبد رزقه الله مالًا وعلما- مال و علم- رزقه الله مالًا وعلما فهو يتقي فيه ربه – يتقي فيه أي في المال ربه - ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل، -فهذا بأفضل المنازل، عنده مال وعنده عمل يعني عنده فقه في دين الله فلا يُوَجِهْ هذا المال إلا في ضوء العلم والبصيرة التي عنده في دين الله تعالى - قال {فهذا في أفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية، يقول:لو أن لي مالا لعملت بعمل- لو أن لي مالا لعملت بعمل- فلان فهو بنيته فأجرهما سواء } -الله أكبر فأجرهما سواء، أعطاه الله سبحانه وتعالى بهذه النية

الصالحة الصادقة العظيمة التي قامت في قلبه، قال:"فأجرهما سواء" ثم قال عليه الصلاة والسلام- :**{وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما**- رزقه الله مالا و لم يرزقه علما- **فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتق فيه ربه}** -لا علم له وعنده مال، لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد أورد هذا الحديث حديث أبي كبشة، قال:{ **هو في حكاية حال من قال ذلك وكان صادقا فيه**}، الرجل الذي كان عنده علم وليس عنده مال، قال في الحديث : {فهو صادق النية }، فهو صادق النية وتنبه لهذه الجملة " فهو صادق النية "، يقول : "لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان". يقول ابن تيمية{ **هو في حكاية حال من قال ذلك وكان صادقا فيه و عِلِم الله منهُ إرادةً جازمةً لا يتخلف عنها الفعلُ إلا لفوات القدرة**،-يعني ليس الأمر بمجرد الكلمة يقولها المرء بلسانه " لو كان عندي مثل مال فلان لفعلت مثل فعله" هذه الكلمة وحدها لا تكفي، لا بد من ماذا؟ صدق النية، يقول رحمه الله:- **و كان صادقًا فيه و عِلِم الله منهُ إرادةً جازمةً لا يتخلف عنها الفعلُ إلا لفوات القدرة فلهذا استويا في الثواب و العقاب**، -استويا في الثواب و العقاب- **و ليست هذه الحال تحصل لكل من قال لو أن لي مال فلان لفعلت مثل ما يفعل**- يعني ليس الأمر بمُجرد قول هذه الكلمة- **إلا إذا كان إرادته جازمةً** } يجب وجود الفعل معها إذا كانت القدرة حاصلة، يجب وجود الفعل معها إذا كانت القدرة حاصلة، فإذا كانت النية قامت في القلب بهذا المُستوى و بهذا الصدق مع الله تبارك و تعالى و بهذا الصلاح في النية مع الله عز و جل و في قلبه إرادة

جازمة فعلًا لو كان عنه من المال مثل فلان لفعل مثله، و الله جل و علا يعلم ما في القلوب و ما تنطوي عليه النفوس، فإذا كان الشخص بهذه الصفة كان له من الأجر مثل أجر ذلك المُنفق مع أنه لم يُنفق شيء، لكن بما قام في قلبه من نية صادقة و حرص عظيم على الثواب، و حرص عظيم على الثواب و أيضًا بالمُقابل ذلك الشخص الذي لو يفعل المعصية لكن قام في قلبه نية أكيدة و عزمٌ أنه لو حصل له من المال مثل ما حصل لفلان لفعل مثله و لا يرده عن هذا العمل إلا أنه ليس عنده مال مثل ذلك الشخص، قال: "فهما في الإثم سواء" فهذا من أيضًا الأبواب العظيمة في هذا الباب: النية الصالحة، الصادقة، التي تقوم في قلب الشخص، يبلغ بها المبالغ العالية و المنازل الرفيعة عند الله سبحانه و تعالى.

من أمثلة أيضًا ذلك الحديث الذي أشرت إليه قبل قليل و هو في صحيح البخاري عن نبينا عليه الصلاة و السلام قال:{ **إن العبد لُيلقي الكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات**}، يرفعه الله بها درجات، قد يُلقي الإنسان الكلمة لكن يكون ناصحًا فيها، ناصحًا فيها ، مُخلصًا لله، و لا يدخل في صالح عمل العبد إلا ما أخلص فيه لله تبارك و تعالى، فيكون ناصحًا فيها ، مُخلصًا لله، لا يُلقي لها بالًا لكن يترتب عليها من الخير و النفع و الفائدة و الآثار العظيمة ما لا يعلمُه و رب العالمين جل و علا يعلمُه و يرفعه بها عالي الدرجات. أحيانًا بعض الناس في مقام من المقامات يُلقي كلمة، يُلقي كلمة لشخصٍ و لا يظن أنها تبلغ فيه ذلك المبلغ، فتجد هذا الشخص يستفيد و يُفيد آخرين و الآخرين يُفيدون آخرين وهذا الذي كان سببًا في ذلك كله لم يعلم ذلك و لم يبلغهُ ذهنهُ

لكن أجوره تتسلسل و تتضعّف و تزيد عند الله تبارك و تعالى و ترتفع بها درجاته و هو قال تلك الكلمة لم يُلقِي لها بالًا، لم يُلقِي لها بالًا. فالشاهد أن باب التضعيف باب عظيم و مُبارك جدًا و ينبغي للمسلم الحفيف أن يتفقه فيه و الإمام بن سعدي رحمه الله في هذه الفُتْيَ يُفَتّحْ الأبواب و يضع القواعد و التأصيلات النافعة التي تُضيءُ للعبد المسلم طريقه في هذا الباب؛ باب تضعيف الأجور، و المُوَفق من عباد الله من يُوفِقه الله عز و جل نسأله جل و علا أن يُوفِقنا جميعًا لكل خير و أن لا يكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين و أن يُصلح لنا شأننا كله إنه تبارك و تعالى سميع الدُعاء و هو أهل الرجاء و هو حسبُنا و نِعم الوكيل، نعم.

السؤال:1

جزاكم الله خيرًا و بارك الله فيكم و ألهمكم الله الصواب و وفقكم للحق، نفعنا الله بما سمعنا و غفر الله لنا و لكم و للمسلمين أجمعين آمين.

يقول شيخنا الكريم بمناسبة هذا الدرس نرجو من سماحتكم حث الإخوة على الصدقة و التبرع لإخواننا في الصومال فهم الآن في أمس الحاجة لتقديم يد العون لهم مما لا يخفى عليكم أن الجفاف قد ضربهم و أن أخبارهم تُذاعُ في نشرات الأخبار و المسلمون في غفلة عن إخوانهم.

الجواب:

إخواننا المسلمون في الصومال فعلًا يمرون بمجاعة عظيمة و شدة و لا يعلمها إلا من يتتبع و يسأل و يبحث عن حالِ إخوانه و في مثل هذا المقام وردت أحاديث عن نبينا عليه الصلاة و السلام استحضار المسلم لها، استحضار المسلم لها و استذكاره لها تُعينه بإذن الله تبارك و تعالى على البذل و الإنفاق و السخاء و الجود و لاسيما و نحن مُقبلين على شهر الخير و شهر الجود و نبينا عليه الصلاة و السلام كان أجود الناس و كان في رمضان في الجود كالريح المُرسلة كما جاء في ذلكم الحديث، فالشاهد أن استحضار مثل هذه المعاني كقوله عليه الصلاة و السلام:{ من نفّس عن مسلمٍ كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة} و{ الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه } و العمل على مساعدتهم و مدّ يدِ العون لهم لا شك أن هذا من الأعمال الصالحة، العظيمة، المُباركة. لكن أيضًا ينبغي في هذا المقام أن يحرص على الوسيلة التي من خلالها تُوصل المُساعدات، ليس كل وسيلة تكون صحيحةً؛ فهناك أناسٌ لا يخافون الله عز و جل ولا يتقونه الشاهد أن الأمر لا بد فيه من الاحتياط لوجود من لا يُحسن أو من لا يتقي الله عز و جل في مثل هذه الأعمال الخيرية المُباركة، و نسأل الله عز و جل الكريم بأسمائه الحُسنى و صفاته العلي أن يُفرج كُربات إخواننا في الصومال و أن يُنفّس هومهم و يُيسر أمورهم و أن يُشبع جائعهم و أن يكسُوَا عاريهم و أن يُروي العطشى منهم و أن يُصلح شأنهم إنه سميع الدُعاء و هو أهل الرجاء و هو حسبنا و نِعم الوكيل، نعم

السؤال:2

يقول بارك الله فيكم، هل كل معصية لا تُغفر إلا بالتوبة؟ حديث البغي ما ذُكر أنها تابت و مع ذلك غُفر لها.

الجواب:

ذكرت المعنى الذي ينبغي حقيقة أن يُفهم من الحديث و هو أنه ليس معنى غُفر لها أن الذنوب الماضية غُفرت و بقيت على عملها و لا ينبغي أن يُفهم من الحديث بهذا المعنى و إنما غُفر لها أن الله عز و جل أكرمها أن أزالها هذا الذنب من قلبها و لم يبقى في نفسها، تائبةً منه، مغفورًا لها، لا أنها باقية على بِغائها و على آثامها و أنما الذي غُفر هو الذي مضى من أمرها ليس هذا هو معنى الحديث. فالمرأة أكرمها الله عز و جل بالخلاص من هذا العمل و تركه و ما كان منها من أعمال سابقة غُفرت، غفر الله سبحانه و تعالى لها، و الحسنات يُذهبن السيئات كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ هود: ١١٤ و الكبائر لابُد فيها من توبة و لهذا قال عليه الصلاة و السلام:{ **الصلوات الخمس، و جُمعة إلى الجُمعة، و رمضان إلى رمضان، مُكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**}، ما اجتنبت الكبائر، نعم.

السؤال:3

يقول كيف السبيل إلى قيام تلك المعاني الإيمانية التي يحرِقُ نورها جبال الذنوب، فإني صاحب معاصٍ و أرجو زوالها؟

الجواب:

نسأل الله عز و جل أن يتوب علينا و عليم و أن يُوفقنا جميعًا لما يُحبهُ و يرضاه و أن يُصلح قلوبنا إنه تبارك و تعالى سميع الدعاء. و مثل هذه المعاني التي تسأل عنها تأتي أولًا و قبل كُل شيء بالاستعانة بالله و صدق اللُّجوء إليه سبحانه و طلب المدد و العون و التوفيق منه جل و علا، فتسأل الله جل و علا صلاح قلبك و صلاح نفسك، تتعوذ بالله من شر نفسك و من سيئات أعمالك، تدعُ الله و تلجئ إلى الله عز و جل صادقًا في دُعائك مع الله. الأمر الثاني المُجاهدة للنفس، قد قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ العنكبوت: ٦٩ ، ثم لا تَحْقِرَنَ من المعروف شيء، لا تَحْقِرَنَ من المعروف شيء قد يسوقك الله عز و جل و يُكرمك بصنيعة معروف تكون سببًا لغفران ذنوبك و سببًا لتوبة الله جل و علا عليك و الشواهد و القصص في هذا الباب كثيرة جدًا، مضى الإشارة إلى شيء منها، و الأمر كله لُطف الله و تَفَضّلَهُ، يعني الشواهد التي مرت معنا هذه كلها أمور الله جل و علا يُيسرها لعبده، رحمة منه بعبده و لطف له، فيُيسر لهُ هذه الأشياء و يُيسر له هذه الرحمة و هذه الأعمال ثم يتفضل عليه

سبحانه و تعالى بالتوبة و يقبل منهُ متاب و يغفر له ذنوبه، كل ذلك منّ الله سبحانه و تعالى و فضله. فينبغي في مثل هذا المقام: صدق اللجوء إليه سبحانه و تعالى، و الإخلاص له جل و علا في العمل، و صدق الاستعانة بالله، و تفويض الأمور إليه، كثرة الدُعاء و السُؤال و الإلحاح، مع بذل الأسباب النافعة، نعم.

السؤال:4

يقول شيخنا بارك الله فيك هل يُستفاد من قصة المرأة البغي و قصة المرأة التي حبست الهرة، هل يُستفاد من ذلك و غيره أن الإسلام يدعُ إلى الرفق بالحيوان لا كما يدعي الكُفار فأنه من سماتهم هم الرفق بالحيوان و أن المسلمين لا يرحمون الحيوان كما يحصل في عيد الأضحى؟ نرجو التعليق.

الجواب:

من يقول هذا الكلام هو من أجهل الناس بالإسلام و بحقائق هذا الدين و معانيه العظيمة و إلا فإنه لا يوجد إطلاقًا دين على وجه الأرض فيه رحمة لبهيمة الأنعام و للطير و للحيوان و عموم المخلوقات مثل هذا الدين المُبارك و لا يُوازيه و لا يُقارنه أيُ دين أو عقيدة أو فكر أو رأي إطلاقًا. و رحمة الإسلام، الرحمة التي في الإسلام لهذه البهيمة هي رحمة أمر الله سبحانه و تعالى عباده بها و رتب عليها عظيم الأجور و جزيل الثواب. فالذي يرحم البهيمة أو يرحم الطير، يرحمهم مُتقربًا به إلى الله سبحانه و تعالى أما الكُفار إذا وُجدت عندهم من معاني الرفق ببهيمة الأنعام؛ أين قصد التقرب إلى الله؟! أين قصد التقرب إلى

الله سبحانه و تعالى و طلب أجرِهِ و ثوابه سبحانه و تعالى؟! هذه معاني مفقودة عندهم، فالمسلم يرحم هذه البهيمة و يرحم هذا الطير طلبًا لثواب الله و طاعةً لله و تقربًا إلى الله سبحانه و تعالى. و أما ذبح الأضاحي فهذا الذبح الذي يقوم به المسلم أمرٌ أذن الله سبحانه و تعالى به، خالق هذا الكون و أباحه لعباده و أحله لهم و جعله قربة من القرب التي يتقربون بها إلى الله سبحانه و تعالى. ثم أيضًا مع هذا الذبح الذي يكون للبهيمة يأتي الإسلام و يأمر بالرحمة حال الذبح كما قال عليه الصلاة و السلام:{ **إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**} و لهذا جاء في الأدب المُفرد للإمام البخاري بإسناد جيد أن رجلٌ من أصحاب النبي قال:" يا رسول الله إني أذبح الشاة و أرحمها "، أذبح الشاة و أرحمها لاحظ هنا ليس فيه تنافي بين الذبح و الرحمة، لا تنافي كما يُوهمهُ ألائك، يذبها لأن الله أذن لنا أن نذبحها و نأكل منها و نُطعم الفقراء و المُحتاجين، أباح لنا سبحانه و تعالى ذلك. يقول الرجل:" يا رسول الله إني أذبح الشاة و أرحمها " قال عليه الصلاة و السلام: { **و الشاة إذا رحمتها رحمك الله**}، فالمسلم يذبح الشاة و يرحم الشاة و يرحمُهُ الله سبحانه و تعالى مع أنه ذبحها لكن قام في قلبه رحمة لها و ترفق بها و أحسن في ذبحها و حد شفرته و أراح ذبيحته فيرحمه الله سبحانه و تعالى. فالإسلام و لا شك دين الرحمة و دين الرفق ببهيمة الأنعام و في هذا الباب أحاديث كثيرة جدًا.